*بسم الله الرحمن الرحيم*

**لا إكراه في الدين:**
**الإسلام وحرية المعتقد**

الدكتور أسامة حسن

www.IslamAndReligiousFreedom.org

## فهرس


دفاعًا عن حرية المعتقد والتخفيف في تطبيق قوانين إزدراء الأديان 2
1. في صعوبة تعريف مصطلح ازدراء الأديان 2
2. الإساءة الشائعة في تطبيق قوانين ازدراء الأديان 3
3. في المبدأ القرآني "لا إكراه في الدين" 4
4. الإسلام بالإكراه غير صحيح 4
5. المصادر الدينية الإسلامية لا تجرّم ازدراء الأديان 5
6. الله وحده يحكم على تدنيس المقدسات ويعاقبه 6
7. يحث منهج القرآن على حرية النقاش والجدال في أمور الدين والعقيدة 6
8. مواجهة الاستفزاز بالتسامح 8
خاتمة 10
الملحق الأول: تفسير الشريعة في القرون الوسطى حول حكم الإعدام بتهمة الردة 11
الملحق الثاني : تعليق حول الإسلام وحرية المعتقد 15
الملكية الفكرية 17

**دفاعًا عن حرية المعتقد والتخفيف في تطبيق قوانين إزدراء الأديان**

لا بد أن تدان أي محاولة لإثارة النعرات الدينية والتعصب الديني والتحريض على العنف ردًا على استفزاز أو عنف طائش أو أعمال شغب بحجة الشعور بالإهانة. بالرغم من ذلك، تسعى هذه المقالة إلى الدفاع عن حرية المعتقد من وجهة نظر الدين الإسلامي وإلى معارضة تشديد قوانين ازدراء الأديان ودعم إعادة النظر في هذه القوانين في كل بلدان العالم. وتستند المقالة في ذلك على الأسباب التالية:

1. يصعب تعريف مصطلح "ازدراء الأديان" في سياقنا العالمي اليوم إذ ما يشكل ازدراءً بالنسبة لشخص ما قد يعتبره شخص آخر حرية معتقد.

2. من المعروف أن التجاوزات في تطبيق قوانين ازدراء الأديان كثيرة إذ غالبًا ما تلجأ إليها الأنظمة التعسفية كأداة للتمييز ضد الأقليات الدينية والمذهبية.

3. من منظور الدين الإسلامي، **تحريم الإكراه في الدين مبدأ قرآني أساسي، إذ يرتكز الإيمان الصادق على الإرادة المستقلة والخيار الحر.**

4. لا شكّ في أنّ **الإكراه على الإيمان وعلى الممارسات الدينية باطل ولا يؤدي سوى إلى نتائج معاكسة.**

5. لا نجد في القرآن الكريم ولا في السنة (أي تعاليم النبي محمد (ص)) أي ذكر صريح لمعاقبة ازدراء الأديان أو تجريمه، بل في العكس، تعود المصادر كافة التي يُستدل بها بشكلٍ خاطئ إلى حالات حرب. أما الآراء الفقهية التي تعاقب الازدراء عقابًا شديدًا فتعود إلى القرون الوسطى وقد ظهرت بعد وفاة النبي محمد (ص) بقرون عديدة.

6. تدعو النصوص الإسلامية إلى الإيمان واحترام الرموز المقدسة، وتدخل أي عقوبة على تجاوز هذه المبادئ في إطار الأحكام الأخروية وليس الدنيوية.

7. يحث منهج القرآن الكريم على حرية النقاش والجدال حول أمور الدين والعقيدة كي يستطيع الناس اتخاذ قرارات مستنيرة بهذا الشأن كونهم مخلوقات حرة لها القدرة على التفكير العقلاني.

8. من المفترض أن يبقى النقاش والجدال مهذبًا وحضاريًا. وإن خرج التبادل عن هذا الإطار، يتمثل الأسلوب المحمدي في الرد على الشتائم والتصرف غير الحضاري والعنف بالصبر والتسامح والغفران والرحمة.

سيتم في ما يلي مناقشة كل من هذه النقاط بالتفصيل:

## 1. في صعوبة تعريف مصطلح ازدراء الأديان

**يصعب تعريف مصطلح "ازدراء الأديان" في سياقنا العالمي اليوم إذ ما يشكل ازدراءً بالنسبة لشخص ما قد يعتبره شخص آخر حرية معتقد.**

غالبًا ما تدفع طبيعة الإيمان الديني إلى اعتبار أن الأديان والمذاهب الأخرى على خطأ، أو حتى أنها مهينة ومجسدة للازدراء. فعلى سبيل المثال، لأبرز الأديان غالبًا آراء وعقائد مختلفة بشأن الله ومحمد ويسوع وبوذا والآلهة الهندوسية ومواضيع أخلاقية واجتماعية متعددة. وتسعى عدة نظريات فكرية ودينية إلى تقريب أبرز الأديان من خلال التقاليد الروحية والفلسفات التي تدافع عن وحدة أسس أديان العالم، لكن وللأسف، نادرًا ما تعرض هذه النظريات في الخطاب العام.

يسهل بالتالي إتهام منتقدي دين معين أو منتقدي الدين بشكل عام أو المتحولين من دين إلى آخر بالكفر، والتمييز بحقهم وحتى معاقبتهم قانونيًا[1]. والمفارقة أنه غالبًا ما يكون المسلمون من أكبر المسيئين بحق الأديان الأخرى فيما هم في الوقت عينه أكثر من يعبّر عن سخطه عندما تهان رموزهم المقدسة. فالتعليقات المسيئة لليهود مثلًا كثيرة في المجتمع المصري ووسائل الإعلام المصرية، وتؤدي إثارة الكراهية ضد المسيحيين إلى العنف والاعتداءات الجماعية في مصر[2]، وباكستان وإندونيسيا[3].

كما يمكن هنا ذكر الرواية القرآنية عن مجموعة من بني اسرائيل خالفوا أمر الله بتحريم الصيد يوم السبت. ولطالما تعمّقت التقاليد الإسلامية المعتدلة في هذه الرواية وفسّرتها كعبرة يستفيد منها كل من اليهود

---

[1] لبعض الأمثلة، راجع: *'Blasphemy' Laws in Egypt, Sudan Threaten Converts*، Compass Direct، *أيار/مايو 2011*، http://www.compassdirect.org/english/country/egypt/article_112328.html

[2] المصدر نفسه

[3] لجنة المحامين لحقوق الإنسان Human Rights First، *Blasphemy Laws Exposed: The Consequences of "Defamation of Religions Criminalizing"*، تم التحديث في آذار/مارس 2012، http://www.humanrightsfirst.org/wp-content/uploads/Blasphemy_Cases.pdf

والمسيحيين والمسلمين. لكن المسلمين المتشددين الذين يدعون إلى الكراهية غالبًا ما يسيئون استعمال هذه الرواية ليبرروا وصفهم اليهود (وأحيانًا المسيحيين) بـ"القرود" و"الخنازير"[4].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا السلوك غير المتناسق يندده القرآن الكريم إذ ورد فيه:

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ )سورة المطففين، الآيات1 إلى 6)

## 2. الإساءة الشائعة في تطبيق قوانين ازدراء الأديان

**من المعروف أن التجاوزات في تطبيق قوانين ازدراء الأديان كثيرة إذ غالبًا ما تلجأ إليها الأنظمة التعسفية كأداة للتمييز ضد الأقليات الدينية والمذهبية.**

ثمة العديد من الحالات الموثوقة التي تدلّ على ذلك. ونشرت منظمة غير حكومية تدافع عن حقوق الإنسان تقريرًا حديثًا يفصّل كيفية استخدام القوانين التي تعاقب الكفر

1. لمنع النقاش أو الانتقاد في الأوساط العامة
2. لإثارة العنف الجماهري
3. لحصر الحرية الدينية وحرية التفكير وحرية المعتقد
4. كسلاح تحل به الخلافات الخاصة.[5]

وتتعلق الأغلبية الساحقة من عشرات الحالات المذكورة في هذا التقرير باتهامات بازدراء الدين الإسلامي في بلدان أكثرية سكانها من المسلمين، مع بروز القليل من الاستثنائات لهذا النمط المهيمن.

## 3. في المبدأ القرآني "لا إكراه في الدين"

[4] لمزيد من التفاصيل، راجع أسامة حسن Usama Hasan، *When Words Are Immutable، The Guardian's Comment Is Free، 2010*، http://www.guardian.co.uk/commentisfree/belief/2010/feb/26/quran-translation-tafsir

[5] لجنة المحامين لحقوق الإنسان Human Rights First، *Blasphemy Laws Exposed: The Consequences of "Defamation of Religions Criminalizing"*، تم التحديث في آذار/مارس 2012، http://www.humanrightsfirst.org/wp-content/uploads/Blasphemy_Cases.pdf

**من منظور الدين الإسلامي، تحريم الإكراه في الدين مبدأ قرآني أساسي، إذ يرتكز الإيمان الصادق على الإرادة المستقلة والخيار الحر.**

(أ) إن الآية القرآنية "لا إكراه في الدين" (سورة البقرة، الآية 256) آية معروفة وتجسّد قيمة إسلامية أساسية، خاصة أنها تأتي مباشرة بعد آية الكرسي (سورة البقرة، الآية 255) المخصصة لعظمة الله والتي وصفها النبي محمد (ص) بـ"أهم آية في القرآن".

وقد قال إبن عباس، إبن عم النبي محمد (ص) وصاحبه ومن أهم مفسري القرآن الكريم، تعليقًا على هذه الآية (سورة البقرة، الآية 256) أنها أنزلت نظرًا لوضع بعض أصحاب النبي (ص) الذين كان لديهم أولاد كانوا قد اعتنقوا الديانة اليهودية أو النصرانية. فعندما جاء الاسلام، مُنع اصحاب النبي (ص) من أن يكرهوا أولادهم على الدخول في الاسلام بناء على هذه الآية[6]. و بالتالي فلا تمنع هذه الآية إكراه الناس على الاسلام فحسب بل تتيح لهم أيضًا ترك الإسلام طوعًا.

(ب) ثمة آية أخرى أساسية وواضحة في موضوع منع الإكراه في الدين، هي آية تخاطب النبي محمد (ص) نفسه :

وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (سورة يونس، الآية 99)

يفسر ابن كثير، وهو من رواد المفسرين، هذه الآية معتمدًا على آيات أخرى متعددة تؤكد كلها أن شؤون الإيمان تكمن بين المرء وربه ولا يمكن لأحد أن يتدخل بينهما[7].

(ج) وتؤكد على ذلك أيضًا آية تذكر النبي نوح وهو يخاطب قومه :

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (سورة هود، الآية 28)

يؤكد المفسرون التقليديون أن معنى هذه الآية هو، أنه لا إكراه في الدين. ويذكر الطبري وابن كثير أن قتادة، وهو أحد العلماء الأوائل، كان يقول "والله لو كان بإمكان نوح أن يفرض الإيمان على قومه لفعل، لكن لم يكن ذلك بوسعه"[8].

---

[6] راجع تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير سورة البقرة، الآية 256 على الصفحة: http://quran.al-islam.com

[7] راجع تفاسير ابن كثير لسورة يونس، الآية 99

[8] راجع تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير والجلالين لسورة هود، الآية 28 على الصفحة : http://quran.al-islam.com

### 4. الإسلام بالإكراه غير صحيح

**لا شكّ في أنّ الإكراه على الإيمان وعلى الممارسات الدينية باطل، وهذا ما أوضحه علماء وفقهاء الإسلام على مدى قرون منذ العصور الأولى للإسلام.**

تتبع هذه الحيثية منطقيًا الحيثية السابقة. فقد أكد الغزالي، وهو من أهم علماء الإسلام، وبشكل قاطع، أن الإيمان أو عدمه يتعلقان بانعقاد القلب عليه أو عدمه، ولا يكون مقبولا في حالة عدم وجود ذلك الانعقاد أو في حالة إكراهه[9].

لذلك، لم يكن يومًا من المصلحة العامة أن يفرض البعض الإيمان والمعتقد على الآخرين أو أن يقيد حقهم على طرح الأسئلة والانتقاد والبحث. وبالطبع، إثارة الكراهية والعنف موضوع آخر لا يقتصر على الأمور الدينية ويمكن معالجته بالقوانين المدنية عامةً.

### 5. المصادر الدينية الإسلامية لا تجرّم ازدراء الأديان

**لا نجد في القرآن الكريم ولا في السنة (أي تعاليم النبي محمد (ص)) أي ذكر صريح لمعاقبة ازدراء الأديان أو تجريمه، بل في العكس، تعود المصادر كافة التي يُستدل بها بشكلٍ خاطئ إلى حالات حرب. أما الآراء الفقهية التي تعاقب الازدراء عقابًا شديدًا فتعود إلى القرون الوسطى وقد ظهرت بعد وفاة النبي محمد (ص) بقرون عديدة.**

كما ذُكر سابقًا، يؤكد القرآن الكريم حرية المعتقد[10]، وقد أنزلت بعض الآيات لتضمن هذا الحق، خصوصًا لليهود والمسيحيين، بالرغم من أن بعض معتقدات هؤلاء قد تشكل كفرًا من المنظور الإسلامي، كرفض نبوة محمد مثلاً أو رفض نبوة النبي عيسى أو طبيعة المسيح الإلهية. وقد أتت بعض الآيات بما يلي :

---

[9] راجع حمزة يوسف Hamza Yusuf، *Who are the Disbelievers?*، *Seasons* Journal، Zaytuna Institute، الولايات المتحدة الأمريكية، ربيع 2008، ص 30 إلى 50. يمكن النفاذ إلى المصدر على الإنترنت: http://sandala.org/wp-content/uploads/2011/04/Who-are-the-Disbelievers.pdf

[10] وفقا للعديد من المراجع، الحالة الاستثنائية الوحيدة هي حالة المشركين العرب لأنهم طالما اضطهدوا المسلمين وحاربوهم للتخلص منهم جميعهم. لم يعد هذا الحكم التاريخي صالحًا منذ الفتح العربي في القرن السابع عشر ميلادي.

(أ) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(سورة البقرة، الآية 62) وعلى ذات النحو (سورة المائدة، الآية 69)

ولهذه الآية معنى واضح ينطبق عالميًا يعطي الأفضلية للتفاسير الشاملة التي تعتبر أن النجاة ممكنة عبر جهود دينية صادقة، على النظريات التي ترى أن المسلمين المؤمنين وحدهم يستطيعون تأمين شروط النجاة.

(ب) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (سورة الحج، الآية 17)

لا تضمن هذه الآية النجاة لكل المجموعات الدينية المذكورة لكنها تذكّر بأن حكم الله سينفّذ في الآخرة. فتقترح الآية رؤية واضحة ومعتدلة وعملية وواقعية تمكّن التعايش السلمي بين مجموعات دينية مختلفة. وتسمح لكل مجتمع ديني أن يتبع سبيله الخاص من دون أن يسيء إلى الآخرين، وإن اعتبر وآمن أنه أفضل من غيره، لأن الله وحده سيحكم بينهم في الآخرة.

غالبًا ما تذكر الآية التالية بشكل خاطئ: وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم (سورة البقرة، الآية 191 وسورة النساء، الآية 89 وسورة النساء، الآية 91). وهي تخص في الحقيقة الأعداء الوثنيين والمسلمين الغادرين في زمن الحرب فقط. وهي لا تخص اليهود، بالرغم مما ادعاه خطأً ومرارًا بعض المحللين أمثال ميلاني فيليبس. ويتضح معنى الآية هذا من خلال الآيات التي تسبقها مثل: وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. (سورة البقرة، الآية 190)

وفي حين أثبتت بعض الروايات الإسلامية مقتل عدد من الشعراء الوثنيين بعد أن سخروا من النبي محمد (ص)، إلا أن ذلك حصل في زمن حرب. ففي القرن السابع ميلادي، كانت الثقافة العربية ترتكز على التداول الشفهي وكان الشعر يُستخدم لأغراض البروباغندا والحرب النفسية، وقد كان النبي محمد (ص) نفسه يلجأ إليها وكان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة من المؤلفين البارعين، فقال النبي (ص) لحسان: "إن أبياتك قد آذتهم أكثر من أسهمنا"[11].

### 6. الله وحده يحكم على تدنيس المقدسات ويعاقبه

**تدعو النصوص الإسلامية إلى الإيمان واحترام الرموز المقدسة، وتدخل أي عقوبة على تجاوز هذه المبادئ في إطار الأحكام الأخروية وليس الدنيوية.**

[11] من صحيح مسلم

وينطبق هذا حتى في الحالات التي يُسخر فيها من الذات الالهية ومن النبي محمد (ص) ومن القرآن الكريم، وتعتبر كلها ازدراء للإسلام. فعديدة هي الآيات التي تقر هذه الفكرة، ومنها على سبيل المثال:

(أ) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ (سورة التوبة، الآيات 64 إلى 66)

ففي وجه السخرية من الدين، تذكر هذه الآية المغفرة والعقاب الإلهيين في آن واحد، وإنّ العقاب، كما ذكر المفسرون التقليديون، لا يحصل إلا في الآخرة.

(ب) إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (سورة الأحزاب، الآيات 56 إلى 58)

لطالما استندت الاستجابات المحترمة في وجه الاستفزاز إلى هذه الآيات إذ إنها تدعو المسلمين إلى أن يهتموا بعبادة الله واتباع نبيه وأن يتركوا الرد على السلوك المعادي لذات الله وللنبي وللمؤمنين لحكم الله في الآخرة. أما الحالة الاستثنائية الوحيدة فهي عند الاعتداء على حياة الآخرين وعلى ممتلكاتهم وعرضهم. فعندئذ على القوانين المناسبة أن تسهّل عودة الحق إلى صاحبه.

### 7. يحث منهج القرآن على حرية النقاش والجدال في أمور الدين والعقيدة

**يحث منهج القرآن الكريم على حرية النقاش والجدال حول أمور الدين والعقيدة كي يستطيع الناس اتخاذ قرارات مستنيرة بهذا الشأن كونهم مخلوقات حرة لها القدرة على التفكير العقلاني.**

وثمة آيات مهمة ولكن أقل تداولًا في هذا الصدد:

(أ) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (سورة الزمر، الآيتان 17 و18)

يؤكد المفسر الشهير أبو القاسم الزمخشري أن هذه الآية يجب أن تفهم بالشكل التالي: يجوز للناس أن يحللوا النصوص العقائدية بطرق مختلفة (ما يشمل أيضًا الإسلام والدين بشكل عام)، وأن يتبعوا السبيل الذي

يرونه مناسبًا لهم[12]. فيقول محمد بن أحمد القرطبي عن عبد الله إبن عباس أنه من الممكن توسيع معنى هذه الآية عبر تفسير كلمة "القول" على أنها تدل على الكلام كله، وليس الكلام الإلهي المذكور في النصوص الدينية فحسب[13]. فهذا المبدأ القرآني الذي يستمع الناس في إطاره إلى بعضهم البعض ويتبعون في النهاية ما يرونه الأفضل، يشكل أساسًا إسلاميًا إضافيًا للتعايش السلمي بين مختلف المجموعات والطوائف الدينية.

(ب) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (سورة الشورى، الآية 10)

لهذه الآية تفسير تقليدي يلمّح إلى يوم القيامة، كما في الآية (سورة الحج، الآية 17) المذكورة أعلاه[14] ويشير إلى أنه على البشر أن يتركوا حكم خلافاتهم لله في الآخرة.

(ج) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (سورة سبأ، الآية 24)

ترتبط هذه الآية، كما يبدو واضحًا من سياقها المكي، بنقاش كان يدور في الجزيرة العربية في العهد النبوي بين المسلمين والوثنيين. فمع أن القرآن يؤكد عدة مرات أن التوحيد هو الحق وأن شرك الجاهلية باطل فإنه في هذه الآية يطلب من النبي (ص)، لضرورة النقاش، أن يبقى محايدًا فيقول إنه يحق لكل مرء أن يعرض حججه وبراهينه وإنه من الممكن أن يكون أي منا على صواب أو خطأ. ولا شك في أن هذا المبدأ القرآني قد شكل أحد أهم مصادر الإلهام الأساسية للتراث الإسلامي الغني في مجال حرية التفكير والنقاش والتعبير.

حرية النقاش في تاريخ الإسلام

شجع بعض الخلفاء، عبر تاريخ الإسلام، الحوار الفقهي بين الأديان على مستوى رفيع، فتناول هذا الحوار في بعض الأحيان مواضيع أساسية في مسألة الإيمان. وقد كانت تحصل بعض اللقاءات في بلاط الخليفة بالذات، ويواجه في خلالها رواد الحاخامات والكهنة وعلماء الإسلام بعضهم البعض. بل كان يسمح للعديد من المفكرين والفلاسفة والشعراء المسلمين البارزين أن يعبروا بشكل صريح عن آراء "ابتداعية" من دون أي خطر اضطهاد من قبل السلطات. فعلى سبيل المثال، إتهم عدد من علماء الدين السنة "من ذوي التوجه السائد" كأبي حامد الغزّالي وأحمد إبن تيمية أهم العلماء والفلاسفة المسلمين كأبي يوسف الكندي وأبي بكر زكريا الرازي وأبي نصر محمد الفارابي وأبي علي الحسين بن سينا وأبي الوليد محمد بن رشد بالزندقة. وفي الواقع غالبًا ما أدان آخرون أولائك العلماء البارزين من ذوي التوجه السائد بالزندقة فتم حبسهم وجلدهم

[12] و راجع تفاسير الزمخشري لسورة الزمر، الآيتين 17 و18 في: الكشاف، دار الكتب العربي، لا تاريخ مذكور.
[13] راجع تفاسير القرطبي لسورة الزمر، الآية 18 على الصفحة: http://quran.al-islam.com
[14] راجع تفسير الجلالين لسورة الشورى، الآية 10 على الصفحة: http://quran.al-islam.com راجع أيضًا تفاسير الزمخشري للسورة نفسها.

وتعرض بعضهم للعنف من قبل الجماهير، ومن بينهم يمكن ذكر بعض أهم وجوه الإسلام السنية كأبي حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل وأبو الحسن الأشعري ومحمد البخاري والغزالي والقاضي أبي بكر الباقلاني ومحيي الدين بن عربي وأحمد ابن تيمية وأبي نصر تاج الدين السبكي وابن قيم الجوزية.

إن محنة المعتزلة **(827-847)** التي حصلت في خلافة العباسي المأمون ضد المعتقدات والتعاليم التقليدية كالتي قدمها ابن حنبل إنتهت بعد عقدين حيث تخلى عنها الخليفتان اللذان أتيا بعد المأمون. وتعلّم عموم المسلمين من هذه التجربة أن لا جدوى من محاولة فرض عقائد دينية معينة على الآخرين، لأن التنوع الواسع في الآراء التقليدية والفقهية والشرعية والفكرية والفلسفية والتفاسير الدينية في النصوص العقائدية الإسلامية التي ازدهرت خلال القرنين ما بعد وفاة الرسول (ص) جعل ذلك مستحيلًا. وقد أكد عالم مسيحي معاصر أن التطور الذي شهده عالم الفكر الإسلامي في تلك الفترة الوجيزة لم يحصل مثله في تاريخ البشرية[15].

تبرز أمثلة أخرى عن التفكير الحر ترجع لبعض الشعراء المسلمين تشمل تلك عن السخرية بالشعائر الدينية المعاصرة. على سبيل المثال، قال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية (748-828)، وهو من رواد شعراء العصر العباسي، في تعليقه الشهير بعد قرنين من وفاة النبي (ص):

إن البشرية على نوعين: الذين يؤمنون بلا تفكير والذين يفكرون ولا يؤمنون

وقد أُتهم أبو العتاهية بالكفر لكنه لم يلاحق يومًا على هذا الأساس إنما سجن لأنه أغضب الخليفة بكتابة قصائد غزل في إحدى جارياته .

كما يمكن ذكر شاعر القرن الثاني عشر عمر الخيام والذي اشتهرت رباعياته في العالم الناطق بالإنكليزية بعد أن نشر نسخة مترجمة منها الشاعر البريطاني إدوارد فيتزجرالد في القرن التاسع عشر. اشتهر الخيام في رباعياته لانتقاده كل من سلك سبل الإيمان أو عبّر عن فضوله بشأن أسرار الجنة والنار والحياة ما بعد الموت والمصير، ولاشادته بالتخلص من أي ارتباك بالمداومة على السكر.

وبالرغم من أن العديد من المسلمين التقاة لا يزالون حتى اليوم يبغضون الأفكار والمشاعر التي حملها أبو العتاهية والخيام، فلا بد من الاعتراف أن تاريخ الإسلام حافل بشعراء حملوا أفكار ومشاعر مماثلة في ذلك الوقت، أي منذ 900 إلى 1200 سنة.

[15] راجع وائل حلاق Wael Hallaq، Introduction to Ibn Taymiyya Against the Greek Logicians، Clarendon، 1993

## 8. مواجهة الاستفزاز بالتسامح

**من المفترض أن يبقى النقاش والجدال مهذبًا وحضاريًا. وإن خرج التبادل عن هذا الإطار، يتمثل الأسلوب المحمدي في الرد على الشتائم والتصرف غير الحضاري والعنف بالصبر والتسامح والغفران والرحمة. وينبغي على من يدعي اتباع الدين الإسلامي والنبي محمد (ص) أن يظهر هذه الخصائص عوض أن يلجأ إلى أعمال العنف الطائش وإراقة الدماء أو إلى محاولة القضاء على حرية التفكير والتعبير.**

**يشيد عدد من الآيات القرآنية بقيم الصبر والتسامح ردًا على الاستفزاز والشتيمة، ومنها على سبيل المثال:**

(أ) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (سورة الأعراف، الآية 199)
(ب) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (سورة الفرقان، الآية 63)
(ج) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِيْ الْمُرْسَلِينَ (سورة الأنعام، الآيتان 33 و34)
(د) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (سورة الحجر، الآيات 97 إلى 99)

**كما أن الأحداث التالية التي حصلت خلال حياة النبي محمد (ص)، وهي مأخوذة من الأحاديث النبوية الموثوقة، تدل على الطريقة التي طبق بها النبي (ص) تعاليم القرآن السامية في ما يخص الصبر وضبط النفس والتسامح والغفران:**

(أ) كان أعداء النبي (ص) في مكة يلقبونه بـ"المذمم" بدلاً من "المحمد". فعلّق الرسول (ص) على ذلك بكل بساطة قائلًا أن كلماتهم لا تخصه فهم يستعملون كلمة زائفة أما هو فإسمه محمد[16].

(ب) عندما توجه النبي (ص) إلى منطقة الطائف الجبلية ليدعو الناس إلى الإسلام، رفضه أهلها وحثوا الشباب على رشقه بالحجارة إلى أن أدمت قدماه. فجاء إليه الملك جبرائيل وعرض عليه أن يسحق أهل

[16] يلجأ سلمان رشدي في كتاب "الآيات الشيطانية" (1988) إلى استعمال مسيحي، مضاد للإسلام، لإسم النبي (ص)، وهو إستعمال زائف ظهر في القرون الوسطى، وهو "ماهوند"، فيستعمله رشدي ليسمي الشخص الأساسي في كتابه. والحديث المذكور أعلاه يوحي أن الجواب المناسب هو جواب النبي (ص) الذي مفاده "لا تقلق، فهذا ليس إسمي على كل حال!"

الطائف بين الجبال، لأنه كان قادرًا على ذلك. فأجابه محمد: "عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله". وهكذا حصل، فبعد أقل من عقدين كان قد أسلم جميع أهل الطائف.

(ج) غالباً ما كان يطلب من النبي (ص) أن يلعن الذين اضطهدوا المسلمين وعذبوهم وقتلوهم وحاولوا تدميرهم. فكان يجيب: "إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعّانا".

(د) دخل على رسول الله (ص) عدد من الأشخاص فقالوا: "السام عليك يا أبا القاسم" بدلًا من السلام عليكم فقالت عائشة: "وعليكم السام" فقال رسول الله (ص): "يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش".

(ه) تدين النبي (ص) من بدوي فجاء يومًا هذا الأعرابي غاضبًا يسترد ماله فشد الرسول (ص) من عباءته بقوة فاسود عنقه. فلما طلب أصحاب النبي (ص) أن يعاقب الأعرابي أجاب النبي (ص): "دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالًا".

(و) وزّع النبي (ص) يومًا غنائم على المسلمين فاتهمه أحدهم بقلة الإنصاف والتفضيل. فلم تتخط العقوبة عتابًا شفهيًا من قبل النبي (ص) بالرغم أن اتهام النبي (ص) بعدم الإنصاف ذروة الكفر.

(ز) كان النبي (ص) يعلّم الناس أن المرء القوي ليس الذي يغلب خصمه في ساحة المصارعة بل الذي يضبط نفسه عند الغضب.

(ح) أتى رجل إلى الرسول (ص) فقال له: "أوصني" فأعاد الرسول (ص) ثلاث مرات: "لا تغضب". وقد علق الفقهاء المسلمون على هذه النصيحة معتبرين أنها تضمن أيضًا تجنب أي حالة يحتمل فيها أن يغضب المرء بلا سبب. وبلا شك، يمكن تطبيق هذه النصيحة على مشاهدة الأفلام والرسوم أو قراءة الكتب المسيئة للرسول (ص) أو لأي رموز مقدسة أخرى.

(ط) كان عبد الله بن أبيّ على رأس المنافقين في المدينة، فقد أسلم هؤلاء لمكانة الإسلام السائدة آنذاك مقارنة بالدين اليهودي والدين المسيحي والوثنية. ولكنهم غدروا بالمسلمين مرارًا، لا سيما عند انسحابهم من الجيش الإسلامي في اللحظة الأخيرة عشية غزوة أُحُد. ثم بعد مبادرة جديدة من مبادراتهم الغادرة، طلب عمر بن الخطاب وآخرون أن يُعدم الخائنون، إذ كان إعدام الخونة من تقاليد الحرب آنذاك. لكن النبي (ص) أجابهم: "دعه لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه"، وهي إجابة شهيرة.

تدل هذه الحادثة على أن الرسول (ص) كان حريصا جدًا على سمعة الإسلام والمسلمين. أما اليوم فنرى أن بعض المسلمين المتشددين يبالغون في ردود أفعالهم كلما غضبوا من إهانة تمس الإسلام، سواء كانت هذه الإهانة حقيقية أو متخيلة. فمن الأفضل لهم أن يتعلموا درسًا من تحفظ النبي (ص) وخاصة أن هنالك فرقًا

شاسعًا بين حالتهم وحالة الرسول (ص)، فالدعوة إلى الانتقام غالبًا ما تخالف قوانين المجتمعات التي يعيش فيها الذين يدعون إلى الانتقام.

**خاتمة**

للإسلام تراث طويل في التسامح وحرية الفكر والنقاش، حتى في المواضيع الأساسية للإيمان. لا يمكن للكلام في شأن المعتقد والإيمان بالدين ألا يستخدم تعابير وأقوال قد تستفز الآخر فيرى فيها كفرًا. لكن رد الإسلام على الاستفزاز يرتكز على الروحانية والكرامة والغفران. فثمة حاجة ماسة اليوم إلى أن يعود تراث الانفتاح والرحمة إلى البلدان والمجتمعات ذات الأكثرية المسلمة، لا سيما نظرًا إلى مقدار العنف الناتج عن التعصب الديني.

## الملحق الأول: تفسير الشريعة في القرون الوسطى حول حكم الإعدام بتهمة الردة

للأسف غلبت على التفسيرات التي أعطيت للشريعة في العصور الوسطى الفكرة الداعية إلى قتل المرتدين عن الإسلام، أي المسلمين الذين يتركون الدين الإسلامي أو يتحولون إلى دين آخر. فهذه الفكرة الموجودة في كافة نصوص القرون الوسطى الأساسية لا تزال تدرّس حتى اليوم في الندوات والجامعات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم بالرغم من أنها تعارض صراحةً المبدأ القرآني الذي ينص على أنه "لا إكراه في الدين". وهي في الحقيقة لا ترتكز إلّا على بضعة أحاديث من أهم أحاديث النبي محمد (ص) قد تكون بعضها موثوقة وبعضها غير موثوقة.

### تحليل بعض أهم الأحاديث التي تذكر عادةً لتبرير حكم الإعدام بتهمة الردة

في ما يلي تعليق موجز على أشهر حديثين يُذكران بخصوص هذا الموضوع:

(أ) اشتهر أول هذين الحديثين بشكلٍ خاص لأنه مذكور في سلسلة قصيرة لأحاديث النبي (ص) ذات شعبية مهمة اسمها "الأحاديث الأربعون النووية" للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (1234-1278). ومحتوى هذا الحديث هو :

**عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (ص): "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة."** [17]

ومن الملحوظ هنا أن المصدرين الأولين لهذا الحديث، أي البخاري ومسلم، يعتبران المصدرين الأصدقين في المذهب السني وقد تعددت التعليقات على هذه الأحاديث.

ويمكن إعطاء مثل للنظريات العلمية التقليدية في تفسير الإمام النووي وهو عالم سوري من القرن الثالث عشر:

"[الحديث] فهو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت ، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام، قال العلماء: ويتناول أيضا كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما ، وكذا الخوارج."[18]

---

[17] راجع النووي، أحاديث الأربعون، ترجمة D. Johnson-Davies و E. Ibrahim، Islamic Texts Society، 1997، الحديث رقم 14

[18] راجع النووي، *شرح صحيح مسلم*، للحديث الذي تتم مناقشته، *كتاب القياس والدية*، رقم 1676،على الصفحة : http://hadith.al-islam.com/Page.aspx?pageid=192&BookID=34&TOCID=772

وفي ذات الصدد، يوافق العالم المصري من القرن الخامس عشر، ابن حجر العسقلاني، مع وجهة نظر النووي ومعاصره ابن دقيق العيد الذي يقول" :الردة سبب لإباحة دم المسلم بالإجماع في الرجل، وأما المرأة ففيها خلاف."[19]

كما سيوضح تاليا، يرفض الفقهاء المعاصرون هذه النظرية، معتبرين أن العبارة "والتارك لدينه المفارق للجماعة" المذكورة في الحديث تضع شرطًا للحكم على المرتد بالإعدام آنذاك هو شرط الخيانة الكبيرة. ففي تلك الفترة من تاريخ الإسلام كان الولاء الديني يوازي غالبًا الولاء السياسي وعلى هذا الأساس فمن كان يترك دينه آنذاك كان يخون جماعته السياسية لا سيما أنه في تلك الفترة كانت الجماعات الدينية المختلفة تعيش في حالة حرب في ما بينها.

**(ب) قال البخاري وآخرون عن عبد الله بن عباس أن الرسول (ص) قال "من بدل دينه فاقتلوه".** وسنناقش سياق هذا الحديث لاحقًا.

ومثالاً لتشدد الفقه التقليدي في هذا المجال يذكر الإمام النووي وهو يفسر الحديث (أ) أعلاه في كتابه "الأربعون النووية" الحديث (ب) ليدافع عن آراء مذهبه الشافعي الحرفية الذي يرى أن كل من غيّر دينه يجب أن يُقتل، وإن كان "يهوديًا تحول إلى مسيحي أو العكس." فهذه النظرية الحرفية ترى أن كل من بدل دينه يجب أن يُقتل باستثناء الذين يحولون دينهم إلى الإسلام. وفي شرحه للأحاديث الأربعين ينتقد فقيه القرن العشرين محمد رشيد رضا وجهة نظر النووي هذه، إذ يجب فهم الحديث (ب) برأي رضا على ضوء الحديث (أ) الذي ينطبق بصورة واضحة على الذين يتركون الإسلام وحدهم.

بالرغم من ذلك فوجهة نظر رضا ووجهة نظر النووي كلاهما حرفيتين. وتظهر المشكلة في التفسيرات الحرفية واضحة في النتائج المتشددة التي يصل إليها النووي وغيره من المراجع الشافعية. فالعقلية الإسلامية المعاصرة قد توافق رضا على أن الحديث (ب) لا يمكن أن يفهم إلا على ضوء مصادر أخرى كالحديث (أ)، وعلى أن الظروف الحديثة المغيرة والمبادئ الإسلامية الأصلية تستوجب إلغاء عقوبة الإعدام أو أي عقوبة أخرى على تهمة الردة. فالعقلية الإسلامية المعاصرة تحاول أن تربط بإيجابية بين هذين الحديثين والآيات القرآنية المذكورة أعلاه، مع العلم أن تقارب المراجع الدينية أساس الفقه نفسه.

سياق الحديث

---

كان الخوارج الأصليون مؤمنين لكن متشددون؛ فأوصلهم تشددهم إلى التكفير وقتل مسلمين، بما فيهم الإمام علي، الخليفة الرابع. تستعمل كلمة "خوارج" عادة لوصف مجموعات سياسية ودينية متطرفة، ترى الثورة على السلطات "غير الإسلامية" أولوية ولا تمانع تكفير المسلمين الذين لا يوافقون معها. والمفارقة أن الإمام النووي يكفل هنا قتل كل من اعتبره المسلمون "من ذوي التوجه السائد" خارجًا عن الإسلام.

[19] راجع *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* لابن حجر العسقلاني (*عن كتاب الديات*)، حديث رقم 6878 على الصفحة: http://hadith.al-islam.com/Page.aspx?pageid=192&BookID=33&TOCID=3788

يعتبر العلامة المعاصر طه جابر العلواني أن الحديث (ب) غير صحيح، وإن كان صحيحًا فهو يخص المؤامرات التي يشنها الأعداء غير المسلمين كما ذكر في القرآن (سورة آل عمران، الآية 72)، فيدّعون أنهم يعتنقون الإسلام ثم يتركونه أملا أن يتبعهم في ذلك بعض المؤمنين.[20]

**آراء بعض فقهاء القرون الوسطى والفقهاء التقليديين في الحكم بالإعدام بتهمة الردة[21]**

1. يعتبر المذهب الحنفي أنه يجب إعدام المرتدين الراشدين الذكور فقط (وليس الإناث) إذا تركوا الإسلام على أساس الحديث (ب) المذكور أعلاه.

2. يرى المذهب المالكي أن كل راشد، ذكراً كان أم أنثى، يجب أن يقتل إن أدار ظهره على الإسلام لأنه يشكل خطرًا على الأمة الإسلامية إذ قد يحمل السلاح ويشن حربًا عليها. ولكن يجب ألا يحصل الإعدام قبل أن يعطى المذنب فرصة للتوبة والرجوع إلى الإسلام، فيقول ابن عبد الله ابن البرّ أن "لا خلاف بين المسلمين في موضوع الإعدام بتهمة الردة".[22]

3. برأي المذهب الشافعي، يجب أن يُقتل المرتدون لأن الوثنية والكفر سببان كافيان أصلاً للقتل. أما الاستثناء الوحيد فهو لأهل الذمة أي غير المسلمين المحميين من قبل السلطات الإسلامية مقابل الجزية.[23]

4. اقتداء بالمالكيين والشافعيين، يعتبر المذهب الحنبلي أنه يجب قتل المرتدين، ذكورًا وإناثًا، بعد إعطائهم ثلاثة أيام للتوبة والرجوع إلى الإسلام.

5. أما في المذهب الشيعي الإثنا عشري فيحكم بالموت على المرتدين الذين ولدوا مسلمين من دون أن يمنحوا فرصة للتوبة. أما الذين كانوا قد غيروا دينهم إلى الإسلام فيجب إعطاؤهم فرصة للتوبة. ويحرم إعدام النساء المرتدات، بل يجب سجنهن.

---

[20] للمزيد من التفاصيل، راجع T.J. al-Alwani، *Apostasy in Islam – A Historical & Scriptural Analysis*، The International Institute of Islamic Thought، لندن/واشنطن، 1432/2011، الفصل الرابع

[21] راجع Al-Alwani، الفصل الخامس

[22] راجع Al-Alwani، ص77 و 101-104

[23] راجع Al-Alwani، ص 104-109

ولعرض ممتاز للفروقات الأساسية بين المذاهب الشافعية والحنفية لنظرتها حول حقوق الإنسان في الإسلام، ولعرض تاريخي للتطورات العثمانية في حقوق الإنسان والديموقراطية حسب المذهب الحنفي، راجع: Recep Senturk، *Sociology of Rights: Human Rights in Islam between Communal and Universal Perspectives*، Emory University Law School، 2002

6. يرى المذهب الظاهري (الحرفي) الممثل بابن حزم أنه يجب قتل جميع المرتدين. فقد اعتبر ابن حزم أن الآية القرآنية "لا إكراه في الدين" إما منسوخة وإما تطبق فقط على أشخاص معيّنين. ويصف العلواني موقف ابن حزم بالمتشدد والمتناقض والغامض.

7. أما المذاهب الزيدية والإباضية، فترى في الردة إعلان حرب محتمل أو حقيقي ضد الأمة الإسلامية يجب بموجبه إعدام جميع المرتدين، ذكورًا وإناثًا.[24]

الفقه الإسلامي الحديث في موضوع الردة

لقد تطوّر الفقه الإسلامي بشكلٍ كبير وملحوظ منذ القرون الوسطى بالنسبة لموضوع الردة، وإن يبدو وكأن العديد من الفقهاء التقليديين المعاصرين لا يدركون ذلك. ونطرح في ما يلي بعض الامثلة :

1. **الإصلاحات العثمانية:** تشكل السلطنة العثمانية بالنسبة لكافة الإسلاميين الحديثين الخلافة الإسلامية الشرعية الوحيدة في زمنها. لقد حمل فرمان الكلخانة (خط شريف كلخانة) الذي صدر في العام 1839 إصلاحات عدة، بما فيها إلغاء الجزية كاملة وإلغاء كل ضريبة أخرى على غير المسلمين. كما تعهد المرسوم بإعطاء الجنسية بشكل متساوٍ لليهود والمسيحيين والمسلمين. وتبعت هذه التعهدات مجموعة قوانين جديدة في العام 1843 حاولت بها الدولة العثمانية الإلتحاق بأوروبا عبر تحديث تراثها الديني العائد إلى القرون الوسطى. **فتم إلغاء الحكم بالإعدام بتهمة الردة عن الإسلام عام 1844.** وفي العام 1858، استوحى القانون الجزائي العثماني بالقانون الذي وضعه نابليون بونابارت في فرنسا عام 1810، وتخلّى عن العقوبات الإسلامية التقليدية.[25]

علق الشيخ عبد الحكيم مراد (المعروف أيضا باسم الدكتور تيم ونتر)، وهو عالم جامعي بريطاني بارز، على الإصلاحات العثمانية معتبرًا أن "الخلافة العثمانية التي تمثل السلطة العليا في الإسلام السني قد ألغت الإعدام بتهمة الردة في أعقاب الإصلاحات التي سُميت بالتنظيمات والتي بدأت عام 1839. وقد صدّق شيخ الإسلام الذي كان يترأس المحاكم الدينية والجامعات الإسلامية على هذا التغيير المهم في التعاليم القانونية التقليدية. إذ أشير إلى أن القرآن لا يذكر أي آية تتناول الجزاء الذي يجب أن يطبق في حالات الردة. فالآية 54 من سورة المائدة والآية 217 من سورة البقرة تذكران عقابًا يطبق في الآخرة. كما أشير إلى أن الحديث الذي يذكر قتل المرتدين غامض ويوحي بأن الردة لا تشكل جريمة إلا إذا تطابقت مع حالة خيانة."[26]

---

[24] لخلاصة المذاهب الخمسة الأخيرة، راجع al-Alwani ص 109-116

[25] اشتياق حسين Ishtiaq Hussain، *The Tanzimat (1839-1876): Secular Reforms in the Ottoman Empire*، Faith Matters، متوفر أيضًا على: http://faith-matters.org/images/stories/fm-publications/the-tanzimat-final-web.pdf

[26] عبد الحكيم مراد Abdal Hakim Murad، *On Faith: Muslims Speak Out – What Islam Really Says About Violence, Human Rights and Other Religions*، Washington Post / Newsweek، تموز/يوليو 2007، نسخة متوفرة على:

2. خلال النصف الثاني من القرن العشرين، قررت **جامعة الأزهر المصرية**، التي تأسست منذ ألف سنة تقريبًا والتي تعتبر اليوم من أهم السلطات الدينية في العالم الإسلامي، أن تتبع العثمانيين في ما يتعلق بحكم الإعدام بتهمة الردة. فيقول عبد الحكيم مراد (تيم وينتر) "أن جامعة الأزهر في القاهرة، وهي أولى السلطات الدينية في العالم العربي، اعتمدت الأفكار التي حملتها الإصلاحات العثمانية فأصدرت فتوى عام 1958 أثبتت فيها إلغاء القوانين التقليدية في موضوع الإعدام بتهمة الردة."[27]

3. وحتى **المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث**، وهو هيئة معاصرة من العلماء والفقهاء التقليديين منهم بعض الإسلاميين البارزين، قبل بالتفسيرات المتعلقة بالحديثين المذكورين والتي تعتبر الردة الملحقة بالخيانة السياسية وحدها تستحق عقابًا دنيويًا.[28]

ومن نتائج كل هذه الاعتبارات:

(أ) من غير الصحيح أن يتم الادعاء بوجود توافق على حكم الإعدام بتهمة الردة.

(ب) من يعتبر أن المس بحكم الإعدام هذا يشكل كفرًا يعارض نفسه عبر الاعتراف أن الخلافة العثمانية "إسلامية" شرعية.

(ج) أنهت السلطات العثمانية وجامعة الأزهر النقاش حول هذا الموضوع ولكن عاد وطرحه الإسلاميون والمتشددون المعاصرون، منتقضين ضد التراث الإسلامي بدلاً من إعادة إحيائه. فيقال مثلاً أن المجلس العلمي الأعلى في المغرب دعا إلى إعادة فرض الحكم بالإعدام للمرتدين عن الإسلام.[29]

خلاصة ونقاط أساسية

1. إن قوانين العصور الوسطى التي تدافع عن حكم الإعدام بتهمة الردة تعارض بوضوح المبدأ القرآني "لا إكراه في الدين".

---

http://ageofjahiliyah.wordpress.com/2007/09/01/abdal-hakim-murad-on-jihad-apostasy-rights-of-muslim-women/

[27] مراد (2007).

[28] فتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، متوفرة في نسخ مطبوعة أو على الإنترنت: http://www.e-cfr.org /

[29] http://morocconewstribune.com/moroccos-high-council-of-ulemass-death-sentence-fatwa-on-apostates-sparks-controversy/

2. وقد اعترفت بذلك السلطات الإسلامية الرائدة كالخلافة العثمانية وجامعة الأزهر عبر إلغاء الحكم بالإعدام هذا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين على التوالي.

3. إن كتاب "الأحاديث الأربعين" المشهور للإمام النووي، والذي يعود إلى القرن الثالث عشر، لا يزال يدرّس في صفوف المبتدئين في علوم الإسلام كما في صفوف الطلاب المتقدمين حول العالم. ويضم هذا الكتاب الحديث الذي يستعمل عادةً لتبرير الحكم بالإعدام في حالات الردة. لذا، فمن واجب كل أستاذ ومعلم يدرّس اليوم كتاب النووي أن يشرح لطلابه أن المبدأ القرآني الذي يدافع عن حرية المعتقد وحرية الإيمان يتغلب على كل هذه التفسيرات، وأن الحكم بالإعدام بتهمة الردة الذي كان مفروضًا في القرون الوسطى تم إلغاؤه من قبل شيخ الإسلام العثماني وجامعة الأزهر المصرية.

## الملحق الثاني : تعليق حول الإسلام وحرية المعتقد

عقب الضجة العالمية أحدثها الفيلم الرديء والمهين والتحريضي "براءة المسلمين" في العام 2012، علت الأصوات في مختلف أنحاء العالم داعيةً إلى وضع قوانين[30] أو تشديد القوانين الموجودة من أجل تشكيل قانون عالمي ضد ازدراء الأديان[31]. وقد قتل عشرات الناس في عدد من البلدان ذات الأكثرية المسلمة خلال تظاهرات عنيفة، بما فيها السفير الأمريكي في ليبيا كريستوفر ستيفنز بعد هجوم إرهابي استهدف السفارة تحت غطاء التظاهر ضد الفيلم. كما قرر وزير باكستاني أن يعرض مبلغ مئة ألف دولار لمن يقضي على مخرج الفيلم.

شعر العديد من الناس آنذاك أن هذه الحادثة لا تشكل سوى حلقة جديدة في تاريخ الإحتجاجات ضد المبادرات المسيئة للإسلام. فمن الكتب والأفلام والرسوم المتحركة والألعاب إلى تدنيس القرآن على أيادي بضعة متشددين وجنود أمريكيين، تبقى القصة هي نفسها: فبدلاً من أن يتجاهلوا هذه المواد المسيئة للإسلام، أو أن يسامحوا المسؤولين عنها كما قد فعل النبي محمد (ص)، فضّل بعض المسلمين غير الناضجين اللجوء إلى العنف، ما أدى إلى مقتل أناس قد ساعدوا المسلمين أو الدول ذات الأغلبية المسلمة من السكان، ولربما أكثر مما ساعد غيرهم.

هذا بالإضافة إلى أن هذا الخيار يعطي المادة الرديئة "المسيئة" للإسلام دعاية كبيرة لا تستحقها، فتلوث صورة الإسلام مجددًا ما يؤدي إلى استياء أكثرية المسلمين العاديين المحترمين.

ففي الثمانينيات، وصل سلمان رشدي وكتابه "الآيات الشيطانية"، وهو كتاب غير قابل للقراءة مليء بالكلمات البذيئة، إلى شهرة عالمية باهرة من بعد أن استهدفت الكاتب حملةٌ إسلامية تحاول "توعية العالم" من خلال نشر الشتائم المذكورة في الكتاب ضد الدين الإسلامي، مما أدى في النهاية إلى قرار آية الله الخميني بإصدار فتوى تطلب قتل رشدي.

وأعيدت القصة نفسها بعد عشرين سنة مع رسوم كاريكاتورية دانماركية تسخر من الرسول (ص). فلم يعرف بها الجمهور لما نشرت أول مرة، إلى أن بدأ عالم مصري يعيش في الدانمارك حملة ليشهرها. لا

---

[30] على سبيل المثال، أرسلت مجموعة كهنة أنجيليين في الشرق الأوسط طلبًا إلى السيد بان كي مون، أمين عام الأمم المتحدة، بإصدار بيان يحرم "أي إساءة مقصودة ومتعمدة للأشخاص (مثل الأنبياء) والرموز والنصوص وكل محتوى للإيمان يعتبرها المؤمنون من المقدسات". (Anglican Communion News Service، *Anglican leaders condemn anti-Islam film and violence*، 19 أيلول/سبتمبر 2012، (http://www.anglicancommunion.org/acns/news.cfm/2012/9/19/ACNS5185)

[31] راجع البيان الذي أرسله الممثلون الدائمون للدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي إلى الأمم المتحدة: *OIC Group in New York Condemns the Release of the Anti Muslim Video, and Calls for Collective Action against Provocations and Systematic Incitement to Hatred*, 22 أيلول/سبتمبر 2012، http://www.oic-oci.org/topic_detail.asp?t_id=7189

شك في أن حب الرسول (ص) وأصحابه يتطلب ألا توزع هذه الرسوم المسيئة. فإنْ شُتم أحباؤنا، كأهلنا أو أولادنا أو المقربين منا، فهل نخبر العالم كله بهذه التعليقات المسيئة وهذه الشتائم؟

في كل هذه الحالات، قتل عشرات الأبرياء في مظاهرات واحتجاجات في مختلف أنحاء العالم، ما هو في غاية السخرية، لأن النبي محمد نفسه (ص) قد علّم المسلمين أن تدمير الكعبة، وهي أهم مقامات الإسلام، أخف اساءة عند الله من قتل نفس واحدة. فعلى سبيل المثال، حصلت الأحداث التالية المريعة عام 2011 :

1. تم قطع رؤوس عدد من موظفي الأمم المتحدة كانوا قد بذلوا جهدهم في مساعدة أفغانستان، وهي بلد ذات أكثرية مسلمة ساحقة، بعد مظاهرة شعبية عنيفة اندلعت بعد حرق بعض النسخ من القرآن الكريم من قبل بعض الإنجيليين الأمريكيين.[32]

2. اغتيل سلمان تأثير، محافظ منطقة البنجاب الباكستانية، على يد أحد أعضاء جهاز أمنه الخاص بعد أن اتهمه هذا الأخير بالإساءة إلى النبي (ص) لأنه عمد إلى الحصول على العفو الرئاسي لآسيا بيبي، وهي إمرأة باكستانية مسيحية تم الحكم عليها بالإعدام بحق قوانين الازدراء الديني الباكستانية، ولكن يشتبه أن القضية كانت تتناول في الحقيقة حالة نزاع مع جيران مسلمين.

[32] "UN staff were hunted down and slaughtered in Afghanistan" ، The Daily Telegraph، 3 نيسان/أبريل 2011، http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/asia/afghanistan/8424805/UN-staff-were-hunted-down-and-slaughtered-in-Afghanistan.html

**الملكية الفكرية**

تعود الملكية الفكرية لهذا النص إلى مركز الحرية الدينية (IRF)، واشنطن، دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية

Attribution-NoDerivs 3.0 Unported
((CC BY-ND 3.0

شارك **هذه المقالة** نعم، بإمكانك مشاركة هذه المقالة **عبر نسخها أو توزيعها أو تناقلها**

تُرجمت هذه المقالة بالاستناد إلى نسختها الإنكليزية الأصلية بعنوان " No Compulsion in Religion: Islam and the Freedom of Belief" بقلم أسامة حسن. مؤسسة كويليام، 2013.

www.IslamAndReligiousFreedom.org